

حكايات
المساء

مَلِكُ الفَرَاشِ

وَقِصَصٌ أُخرَى





حكايات المساء

مَلِكُ الفَرَاشْ

وَقِصَصٌ أُخرى

أعدَّ النصَّ العربيَّ : وَجْدي رزق غالي

مَكتبة لبنان



كثيرًا ما يحارُ الأهلُ في اختيارِ الأقاصيصِ الّتي يُلحُّ أطفالُهُمْ في طلبِها قُبيلَ النّوْمِ . وهٰذا الكِتابُ مَوْضوعٌ لِيُلَبّي هٰذِهِ الرَّغْبَةَ لدى الأَطْفالِ ويُسَهِّلَ على الآباءِ اخْتيارَ القِصَّةِ المُناسِبَةِ .

يَشْتَمِلُ الكِتابُ على مَجْموعَةٍ مِنَ القِصَصِ المُشَوِّقَةِ الّتي سَيُحِبُّها الأَوْلادُ صِغارًا وكِبارًا . وقَدْ صُمِّمَ لَها بِحَيْثُ يُشارِكُ الأَهْلونَ أبناءَهُمْ في مُتْعَةِ الأَحْداثِ ، فيَقْرَأونَ على أَطْفالِهِمِ الصِّغارِ هٰذِهِ الأَقاصيصَ ، ويَشْتَرِكونَ مَعَهُمْ في الاِسْتِمْتاعِ بالرُّسومِ الرّائِعَةِ المُعَبِّرَةِ .

وهِيَ قِصَصٌ أَخَذَتْ طَريقَها إلى قُلوبِ مَلايينِ الأَطْفالِ في العالَمِ ، لأَنَّها تُخاطِبُ عَواطِفَهُمْ ، ولأَنَّ أَبْطالَها في الغالِبِ أَطْفالٌ أَوْ حَيَواناتٌ صَغيرَةٌ ، وحَوادِثُها كُلُّها مِمّا يَجِدُ أَبناؤنا في تَتَبُّعِها مُتْعَةً ولَذَّةً .

وهِيَ كُلُّها قِصَصٌ إِنْسانِيَّةٌ تُعَوِّدُ الطِّفْلَ مَحَبَّةَ الإِنْسانِ وفَهْمَ الطَّبيعَةِ ، وتُنَمّي فيهِ حُبَّ المُغامَرَةِ وقَوْلَ الحَقِّ .

المُحْتَوَيات

مَلِكُ الفَراشِ

كانَ لِجَميعِ الحَشَراتِ الَّتي تَعيشُ في الغابَةِ مَلِكٌ يَحْكُمُ بَيْنَها، ويُراقِبُ سُلوكَها، ويُتابِعُ أَعْمالَها.

وكانَ مَلِكُ الفَراشِ جَميلًا، لا نَظيرَ لَهُ. فَجَناحاهُ هائلانِ، وجِسْمُهُ ضَخْمٌ، ولَمْ يَسْبِقْ لِأَحَدٍ أَنْ رَأى مِثْلَهُ في ضَخامَتِهِ مِن بَينِ الفَراشِ كُلِّهِ.

واعْتادَ مَلِكُ الفَراشِ أَنْ يَطيرَ داخِلَ الغابَةِ وخارِجَها حَتّى يَتَأَكَّدَ أَنَّ جَميعَ أَفْرادِ مَمْلَكَتِهِ مِنَ الفَراشِ يَنالُ القَدْرَ الكافِيَ مِنَ العِنايَةِ؛ والحَقُّ أَنَّ المَلِكَ كان دائمًا مَشْغولًا مُنْذُ الصَّباحِ الباكِرِ حَتّى ساعَةٍ مُتَأَخِّرَةٍ مِنَ اللَّيْلِ.

وذاتَ يَومٍ طارَ مَلِكُ الفَراشِ خارِجَ الغابَةِ، وراحَ يَبْحَثُ عن بَيْتٍ مِنَ البُيوتِ لَعَلَّهُ يَجِدُ فيهِ بَعْضَ الأَعْمالِ لِعَدَدٍ مِنْ صِغارِ الفَراشِ. وبَيْنَما كانَ يُرَفْرِفُ، واللَّيْلُ في أَوَّلِهِ، أَمْطَرَتِ السَّماءُ ولَمْ يُرِدْ بِالطَّبْعِ أَنْ يَبْتَلَّ جَناحاهُ، واتَّخَذَ طَريقَهُ نَحْوَ قَصْرٍ فَخْمٍ عِنْدَ سَماعِهِ صَوْتَ الرَّعْدِ.

واسْتَمَرَّ يُرَفْرِفُ خارِجَ إِحْدَى نوافِذِ القَصْرِ لَحْظَةً، وقَبْلَ أَنْ تُغْلَقَ النّافِذَةُ مَرَقَ إِلى الدّاخِلِ واسْتَقَرَّ عَلى السَّقْفِ.

وتَمَلَّكَهُ الإِعْجابُ بِالأَثاثِ الرّائِعِ والبُسُطِ النَّفيسَةِ وكُلِّ الأَشْياءِ البَديعَةِ داخِلَ القَصْرِ. وبَيْنَما هُوَ مُسْتَقِرٌّ في مَكانِهِ أَخَذَ الظَّلامُ يَشْتَدُّ ويَشْتَدُّ، حَتّى سادَ الظَّلامُ التّامُّ المَكانَ كُلَّهُ، ولَمْ يَعُدْ هُناكَ سِوى أَطْيافٍ تَلوحُ أَمامَهُ. وأَدْرَكَ مَلِكُ الفَراشِ أَنَّ الوَقْتَ قَدْ أَصْبَحَ مُناسِبًا لِيَتَفَقَّدَ القَصْرَ. فَتَرَكَ السَّقْفَ وطارَ نَحْوَ حُجْرَةِ نَوْمٍ واسِعَةٍ مارًّا بِرَدْهَةٍ رَحْبَةٍ.



أيُّ مَنْظَرٍ هٰذا الَّذي شاهَدَهُ... فِرَاشٌ وَثيرٌ هائِلٌ تَعْلوهُ ظُلَّةٌ فاخِرَةٌ... وسَتائِرُ حَريرِيَّةٌ وبُسُطٌ سَميكَةٌ. وعِنْدَئِذٍ حَدَثَ شَيْءٌ غَريبٌ! فقَدْ رَأَى مَلِكُ الفَراشِ فَجْأَةً شَيْئًا بَيْنَ الأَطْيافِ... ولَمْ يَسْتَطِعْ أَنْ يُصَدِّقَ عَيْنَيْهِ... كانَ ما رَآهُ فَراشَةً أُخْرَى... فَراشَةً جَميلَةً... إنَّها أَجْمَلُ مَخْلوقٍ رَآهُ في حَياتِهِ... وأَحَبَّها في الحالِ. وكانَ كُلَّما رَفْرَفَ مُقْتَرِبًا مِنْها، بَدَتْ وكَأَنَّها تَقْتَرِبُ مِنْهُ أَيْضًا... كَمْ كانَتْ فاتِنَةً! وفَكَّرَ مَلِكُ الفَراشِ في نَفْسِهِ أَنَّ الفَراشَةَ لا بُدَّ أَنْ تُصْبِحَ زَوْجَتَهُ مَلِكَةَ الفَراشِ. ولٰكِنَّ الشَّيْءَ الَّذي لَمْ يَكُنْ يَعْرِفُهُ مَلِكُ الفَراشِ المِسْكينُ هُوَ أَنَّ ما يَراهُ لَيْسَ سِوَى خَيالِهِ المُنْعَكِسِ على المِرْآةِ الكَبيرَةِ. لَمْ يَكُنْ يُدْرِكُ أَنَّهُ يَرَى نَفْسَهُ في المِرْآةِ... وكانَ سَعيدًا لِلْغايَةِ بِأَنَّهُ وَجَدَ الفَراشَةَ الجَميلَةَ الَّتي سَتُصْبِحُ زَوْجَتَهُ المَلِكَةَ.

وفَجْأَةً اشْتَدَّتِ العاصِفَةُ، وأَصابَتْ صاعِقَةٌ المِرْآةَ... فَتَصَدَّعَتْ



وتَساقَطَتْ قِطَعًا مُتَناثِرَةً. وما إنْ سَقَطَتِ المِرْآةُ على الأَرْضِ، حَتَّى اخْتَفَى خَيالُ مَلِكِ الفَراشِ أَيْضًا... مِسْكينٌ مَلِكُ الفَراشِ، لَقَدْ تَحَطَّمَ قَلْبُهُ عِنْدَما ظَنَّ أَنَّهُ وَجَدَ الفَراشَةَ المُناسِبَةَ لِأَنْ تَكونَ شَريكَةَ حَياتِهِ ثُمَّ اخْتَفَتْ هٰكَذا!

وراحَ يُفَكِّرُ: أَيْنَ ذَهَبَتْ؟ لَقَدْ كانَتْ هُناكَ مُنْذُ لَحْظَةٍ، هَلْ يُمْكِنُ أَنْ تَخْتَفِيَ هٰكَذا تَمامًا... لا بُدَّ أَنْ تَكونَ هُنا في مَكانٍ ما... وطارَ في جَميعِ أَرْجاءِ القَصْرِ بَحْثًا عَنْها... ورَغْمَ ما بَذَلَهُ مِنْ جُهْدٍ، فإنَّهُ لَمْ يَسْتَطِعِ العُثورَ عَلَيْها. وأَخيرًا عادَ إلى الغابَةِ يائِسًا، وطَلَبَ عَقْدَ اجْتِماعٍ خاصٍّ بِجَميعِ الفَراشِ.

وقَصَّ المَلِكُ على الفَراشِ ما حَدَثَ... وكَيْفَ شاهَدَ أَجْمَلَ فَراشَةٍ في الدُّنْيا... وكَيْفَ أَحَبَّها... وأَنَّهُ يُريدُ أَنْ يَتَزَوَّجَ الفَراشَةَ الجَميلَةَ الَّتي رَآها.

وقَصَّ على الفَراشِ كُلِّهِ كَيْفَ اخْتَفَت... وشَرَحَ أَنَّها كانَتْ مَوْجودَةً لِلَحْظَةٍ... وفي اللَّحْظَةِ التّالِيَةِ، ومَعَ وَمْضَةِ نُور، كانَتْ قَدِ اخْتَفَتْ. إنَّهُ يَتَذَكَّرُ بِوُضوحٍ وَمْضَةَ النُّورِ... كانَ نُورًا مُتَأَلِّقًا. وأَيْقَنَ أَنَّهُ لا بُدَّ أَنْ يَكونَ لِلنُّورِ دَخْلٌ بِاخْتِفائِها.

واسْتَمَعَ كُلُّ الفَراشِ بِاهْتِمامٍ إلى مَلِكِ الفَراشِ. وكانوا في حُزْنٍ عَميقٍ لِأَنَّ مَلِكَهُمْ لَمْ يَكُنْ سَعيدًا... وعِلاوَةً على ذٰلِكَ كانوا يَتوقونَ لِأَنْ يَكونَ لَهُمْ مَلِكَةٌ جَميلَةٌ.

وقَرَّرَ الفَراشُ العُثورَ على الفَراشَةِ الجَميلَةِ... وطاروا في كُلِّ مَكانٍ بَحْثًا عَنْها... ولٰكِنْ لَمْ يَهْتَدِ إِلَيْها أَحَدٌ. وعِنْدَئِذٍ قَرَّروا أَنَّ لِلنُّورِ أَهَمِّيَّتَهُ، وأَمَرَ المَلِكُ كُلَّ فَراشَةٍ أَلّا تَبْحَثَ في الظَّلامِ فَحَسْبُ، وإِنَّما في النُّورِ أَيْضًا بِصِفَةٍ خاصَّةٍ حَتّى يَتِمَّ العُثورُ عَلَيْها.

ولا يَزالُ الفَراشُ يَبْحَثُ حَتّى اليَوْمِ لِيَجِدَ الفَراشَةَ الَّتي اخْتَفَتْ عِنْدَ وَمْضَةِ نُورٍ. وهٰذا هُوَ السَّبَبُ في أَنَّكَ سَتَرى دائِمًا فَراشَةً تَطيرُ حَوْلَ النّورِ، أَوْ حَتّى حَوْلَ لَهَبِ شَمْعَةٍ... إِنَّ الفَراشَ قَدْ يَحْتَرِقُ هٰكَذا في اجْتِهادِهِ لِلْبَحْثِ عَنْ مَلِكَةِ الفَراشِ الَّتي لَمْ تَكُنْ مَوْجودَةً أَبَدًا في يَوْمٍ مِنَ الأَيّامِ... لِأَنَّها لَمْ تَكُنْ سِوى انْعِكاسٍ لِصورَةِ مَلِكِ الفَراشِ على سَطْحِ المِرْآةِ.



أَمِيرَةُ الأَزْهَار





يُحكَى أَنَّهُ كانَتْ تَعيشُ مَلِكَةٌ حَسْناءُ في وادٍ يُسَمَّى وادِيَ الوَرْدِ. وكانَتْ تُعْرَفُ بِاسْمِ مَلِكَةِ الأَزْهارِ. وكانَ مِنَ الطَّبيعيِّ أَنْ تُسَمَّى ابْنَتُها الطِّفْلَةُ الصَّغيرَةُ الجَميلَةُ بِاسْمِ أَميرَةِ الأَزْهارِ.

ولَمّا اقْتَرَبَ العيدُ الأَوَّلُ لِميلادِ الأَميرَةِ الصَّغيرَةِ، تَقَرَّرَ أَنْ يُحْتَفَلَ بِهٰذِهِ المُناسَبَةِ السَّعيدَةِ احْتِفالًا خاصًّا.

وأَرادَ أَقْزامُ الغابَةِ كُلُّهُمْ أَنْ يَشْتَروا لِلأَميرَةِ بَعْضَ الهَدايا اللَّطيفَةِ، ولٰكِنَّ مَلِكَةَ الأَزْهارِ قالَتْ لَهُمْ: «لا... لَنْ يَشْتَرِيَ أَحَد أَيَّةَ هَدِيَّةٍ

لِلأَميرَةِ.» ثُمَّ قالَتْ: «ولٰكِنْ يَسُرُّها أَنْ تَتَلَقَّى هَدِيَّةً صُنْعَ أَيْديكُمْ.»

وكانَ لِتَصْريحِ المَلِكَةِ هٰذا تَأْثيرُهُ، فَقَدْ دَبَّ النَّشاطُ والحَرَكَةُ في جَميعِ أَرْجاءِ الغابَةِ، وراحَ الجَميعُ يُقَرِّرونَ ما سَيَصْنَعونَهُ هَدِيَّةً لِلأَميرَةِ الصَّغيرَةِ. كانَ كُلُّ واحِدٍ يَوَدُّ أَنْ يُقَدِّمَ أَحْسَنَ هَدِيَّةٍ... وكانَ هٰذا ما أَرادَتْهُ المَلِكَةُ بِالضَّبْطِ، لِأَنَّهُمْ رَكَنوا مُنْذُ عَهْدٍ قَريبٍ إِلى الكَسَلِ والشَّكْوَى. وفَكَّرَتِ المَلِكَةُ أَنَّ الهَدِيَّةَ سَتَشْغَلُهُمْ، وكانَتْ مُحِقَّةً!

ومَضَى عَلَيْهِمْ وَقْتٌ طَويلٌ وهُمْ يُحاوِلونَ تَقْريرَ ما سَيَصْنَعونَهُ هَدِيَّةً لِلأَميرَةِ الصَّغيرَةِ، وأَخيرًا قالَ بَعْضُهُمْ: «سَوْفَ نَصْنَعُ لَها كَعْكَةً كَبيرَةً ولَذيذَةً مِنَ السُّكَّرِ واللَّيْمونِ. وسَوْفَ تَكونُ أَكْبَرَ وأَشْهَى كَعْكَةٍ.»

وقالَ آخَرون: «سَوْفَ نَصْنَعُ شَيْئًا مُخْتَلِفًا. إِنَّ الأَميرَةَ لَنْ تَسْتَطيعَ أَنْ تَأْكُلَ الكَعْكَةَ، فَهِيَ أَصْغَرُ مِن أَنْ تَأْكُلَ شَيْئًا كَالكَعْكَةِ. فَلْنَصْنَعْ لِدُمْيَتِها بَيْتًا جَميلًا كَبيرًا، وسَوْفَ تُحِبُّ هٰذِهِ الهَدِيَّةَ.» وشَرَعوا في الحالِ يَقْطَعونَ الخَشَبَ ويَنْشُرونَهُ ويَسْحَجونَهُ ويَدُقُّونَهُ وهُمْ مُبْتَهِجونَ.

والْتَفَّ عَدَدٌ قَليلٌ مِنْهُمْ حَوْلَ بَعْضِهِمِ البَعْضِ، وقالوا: «سَوْفَ نَصْنَعُ لِلأَميرَةِ ثَوْبًا جَميلًا لِلْحَفْلِ سَيَكونُ أَجْمَلَ ثَوْبٍ ارْتَدَتْهُ أَميرَةٌ ومِنْ أَفْخَرِ نَسيجٍ حَريريٍّ. وسَوْفَ تَبْدو فيهِ أَكْثَرَ جَمالًا مِنْ قَبْلُ.» وبَدَأوا يَقُصّونَ القُماشَ ويُطَرِّزونَهُ ويَحيكونَهُ.

وقالَتْ مَجْموعَةٌ مِنْهُم: «إِنَّها الآنَ أَميرَةٌ، ويَنْبَغي أَنْ تَلْبَسَ الأَميرَةُ تاجًا، لِذٰلِكَ سَوْفَ نَصْنَعُ لَها تاجًا مِنَ الذَّهَبِ والفِضَّةِ وسَوْفَ نُرَصِّعُهُ بِالْماسِ والجَواهِرِ.» وأَخْفَتْ كُلُّ مَجْموعَةٍ عَنْ غَيْرِها سِرَّ ما سَتَصْنَعُهُ هَدِيَّةً لِلأَميرَةِ.

وكانَ هُناكَ قَزَمٌ صَغيرٌ اسْمُهُ «بِلاسْم»... وكانَ يُسَمَّى هٰكَذا في الواقِعِ لأَنَّهُ لَمْ يَكُن لَهُ اسْمٌ عَلى الإِطْلاقِ... لِذٰلِكَ أَسْمَوْهُ بِلاسْم. وكانَ يَعْمَلُ بُسْتانِيًّا ، وكانَ حَزينًا جِدًّا ، لِأَنَّ كُلَّ ما كانَ يَسْتَطيعُ عَمَلَهُ هو زِراعَةُ الأَزْهارِ. ولم يَكُنْ في اسْتِطاعَتِهِ أَبَدًا أَنْ يَصْنَعَ شَيْئًا بِيَدَيْهِ. صَحيحٌ أَنَّهُ كانَ يُعْنَى بِالأَزْهارِ ، ولٰكِنَّ الجَميعَ كانوا يَعْرِفون أَنَّهُ لا يَسْتَطيع أَنْ يَصْنَعَ أَزْهارًا حَقيقِيَّةً... فَلَيْسَ بِيَدَيْكَ تَصْنَعُ أَزْهارًا... إِنَّكَ فَقَطْ تُعْنَى بِالأَزْهارِ حَتَّى تَنْمُوَ وتَزْهُوَ بِالأَلْوانِ.

وذاتَ يَوْمٍ كانَ يَجْلِسُ وعَلاماتُ الحُزْنِ تَكْسو وَجْهَهُ ، فَوَثَبَتْ فَوقَ رُكْبَتِهِ حُورِيَّةٌ صَغيرَةٌ ، وسَأَلَتْهُ : «لِماذا تَبْدو قَلِقًا حَزينًا؟» فَأَجابَها القَزَمُ الصَّغيرُ:

«إِنَّني لا أَسْتَطيعُ أَنْ أَصْنَعَ شَيْئًا. إِنَّني بُسْتانِيٌّ ، وأَسْتَطيعُ فَقَطْ أَنْ أُساعِدَ الأَزْهارَ عَلى أَنْ تَنْمُوَ ، وأُريدُ حَقًّا أَنْ أَصْنَعَ شَيْئًا.»

وسَأَلَتْهُ الحُورِيَّةُ : «ماذا تَوَدُّ أَنْ تَصْنَعَ لِلأَميرَةِ؟»

قالَ بِلاسْم : «أُريدُ فَقَطْ إِسْعادَها.» وقالَتِ الحُورِيَّةُ : «يا لَها مِن إِجابَةٍ جَميلَةٍ! إِنَّني أَعِدُكَ أَنَّكَ سَتُسْعِدُها.»

نَظَرَ القَزَمُ إِلى الحُورِيَّةِ لَحْظَةً ، فابْتَسَمَتِ الحُورِيَّةُ لَهُ.

وقالَتْ : «إِنَّكَ سَتَصْنَعُ شَيْئًا بِيَدَيْكَ.» ولَوَّحَتْ بِعَصاها ، ومَسَّتْ بِها الأَرْضَ ، فَظَهَرَتْ فَجْأَةً كَمَنْجَةٌ صَغيرَةٌ وقَوْسٌ.



قالَتِ الحُورِيَّةُ الصَّغيرَةُ: «سَوْفَ تَعْزِفُ يا بِلاسْم الموسيقى بِيَدَيْكَ. هٰذِهِ كَمَنْجَةٌ سِحْرِيَّةٌ، وعِنْدَما تَعْزِفُ عَلَيْها سَتَنمو الأَزْهارُ. إنَّها سَتَنْبُتُ مِنَ الأَرْضِ عِنْدَما تَعْزِفُ... جَرِّبْها وسَوْفَ تَرى.»

ولَمْ يَسْتَطِعِ القَزَمُ الصَّغيرُ أَنْ يُصَدِّقَ عَيْنَيْهِ. والْتَقَطَ الكَمَنْجَةَ ومَرَّرَ القَوْسَ بِرِقَّةٍ فَوْقَ أَوْتارِها.

وعِنْدَئِذٍ لاحَظَ أَنَّ الوَرْدَ يَتَواثَبُ عالِيًا عِنْدَما يَعْزِفُ، ويَتَوَقَّفُ الوَرْدُ عَنِ التَّواثُبِ عِنْدَما يَكُفُّ هُوَ عَنِ العَزْفِ.

وضَحِكَ بِلاسْم وصَفَّقَ بِيَدَيْهِ فَرَحًا، وقالَ: «أَشْكُرُكِ أَيَّتُها الحُورِيَّةُ الصَّغيرَةُ. إنَّني الآنَ أَسْتَطيعُ أَنْ أَتَوَجَّهَ إلى القَصْرِ وأُقَدِّمَ هَدِيَّتي.»

وعِنْدَما حَلَّ اليَوْمُ العَظيمُ أَخَذَ الجَميعُ هَداياهُمْ إلى الأَميرَةِ الصَّغيرَةِ. واتَّفَقَ أَنَّها كانَتْ تَبْكي عِنْدَما وَصَلوا (فَهِيَ لَمْ تَكُنْ سِوَى طِفْلَةٍ).

قالَ أَحَدُهُمْ: «اِنْتَظِروا فَقَطْ حَتَّى تَرى هَدِيَّتَنا، وأَنا واثِقٌ أَنَّها عِنْدَئِذٍ سَتَكُفُّ عَنِ البُكاءِ.» ثُمَّ كَشَفوا عَنْ كَعْكَةِ عيدِ الميلادِ الضَّخْمَةِ. وشَكَرَتْهُمُ المَلِكَةُ... إلَّا أَنَّ الأَميرَةَ الصَّغيرَةَ المِسْكينَةَ اسْتَمَرَّتْ تَبْكي.

وقالَ البَعْضُ: «لِنَرَ رَأْيَها في هَدِيَّتِنا!» وأَبْرَزوا بَيْتَ الدُّمْيَةِ الكَبيرَ. وابْتَهَجَتِ المَلِكَةُ... ولٰكِنَّ الأَميرَةَ الصَّغيرَةَ لَمْ تَتَمَكَّنْ مِنْ رُؤْيَةِ الهَدِيَّةِ مِنْ كَثْرَةِ دُموعِها.

وقالَتْ مَجْموعَةٌ أُخْرى: «هٰذِهِ الهَدِيَّةُ سَتُوقِفُ بُكاءَها.» وأَظْهَروا ثَوْبَ الحَفْلِ الجَميلَ الَّذي صَنَعوه. وكادَتِ المَلِكَةُ أَنْ تَطيرَ فَرَحًا... وشَكَرَتْهُمْ أَيْضًا... ولٰكِنَّ الأَميرَةَ الطِّفْلَةَ الصَّغيرَةَ اسْتَمَرَّتْ تَبْكي.



وبَعْدَ ذٰلِكَ أَظْهَرَ الآخَرونَ التّاجَ الجَميلَ الَّذي صَنَعوهُ... وعَبَّرَتِ المَلِكَةُ عَنْ إعْجابِها الشَّديدِ بِجَمالِ التّاجِ... واسْتَمَرَّتِ الأَميرَةُ في البُكاءِ.



وعِنْدَئِذٍ تَقَدَّمَ بِلاسْم وسَأَلَهُ أَحَدُهُمْ: «تُرَى ماذا أَحْضَرْتَ؟»

فأَجابَهُ بِلاسْم: «مَعي هٰذِهِ الأُصُصُ المَمْلوءَةُ بِالتُّرْبَةِ.»

وصاحوا: «إِنَّكَ لا تَسْتَطيعُ أَنْ تُقَدِّمَ إِلى الأَميرَةِ أُصُصًا مَمْلوءَةً بِالتُّرْبَةِ.» وهَمّوا أن يُبْعِدوهُ، فلَوَّحَ بالكَمَنْجَةِ الَّتي أَعْطَتْهُ إِيّاها الحورِيَّةُ.

وصاحَ أَحَدُهُمْ: «إِنَّ الهَدِيَّةَ الَّتي تُقَدَّمُ هُنا يَجِبُ أَنْ تَكونَ فَقَطْ مِن صُنْعِ يَدَيْكَ.»

أَجابَ بِلاسْم: «نَعَمْ، إِنّي أَعْرِفُ هٰذا. وسَوْفَ أَعْزِفُ الموسيقَى بِيَدَيَّ... اُنْظُروا فَقَطْ لِما يَحْدُثُ. لَا تُحَوِّلوا أَبْصارَكُم عَنْ أُصُصِ الأَزْهارِ هٰذِهِ.»

حَدَّقَ الجَميعُ في أُصُصِ الأَزْهارِ، وبَدَأَ بِلاسْم القَزَمُ العَزْفَ. وفَجْأَةً بَدَأَتِ التُّرْبَةُ تَتَحَرَّكُ في الأُصُصِ... ثُمَّ اخْتَرَقَتِ التُّرْبَةَ زَهْرَةٌ... وبَيْنَما راحَ القَزَمُ الصَّغيرُ يَعْزِفُ، أَخَذَتْ أَجْمَلُ الأَزْهارِ تَتَفَتَّحُ.

وأَوْقَفَ صَوْتُ الموسيقَى بُكاءَ الأَميرَةِ الصَّغيرَةِ، بَلْ إِنَّها نَظَرَتْ أَيْضًا إِلى الأَزْهارِ وهِيَ تَتَفَتَّحُ. وحَتّى الأَزْهارُ المُطَرَّزَةُ عَلى مُلاءَةِ سَريرِها بَدَأَتْ تَتَفَتَّحُ أَيْضًا... وكَذٰلِكَ الأَزْهارُ الَّتي عَلى وَرَقِ الحائِطِ... وعِنْدَما أَطَلّوا مِنَ النّافِذَةِ، وَجَدوا الحَديقَةَ قَدْ تَحَوَّلَتْ إِلى بُقْعَةٍ كَبيرَةٍ مِنْ بَراعِمِ الأَزْهارِ المُتَفَتِّحَةِ!



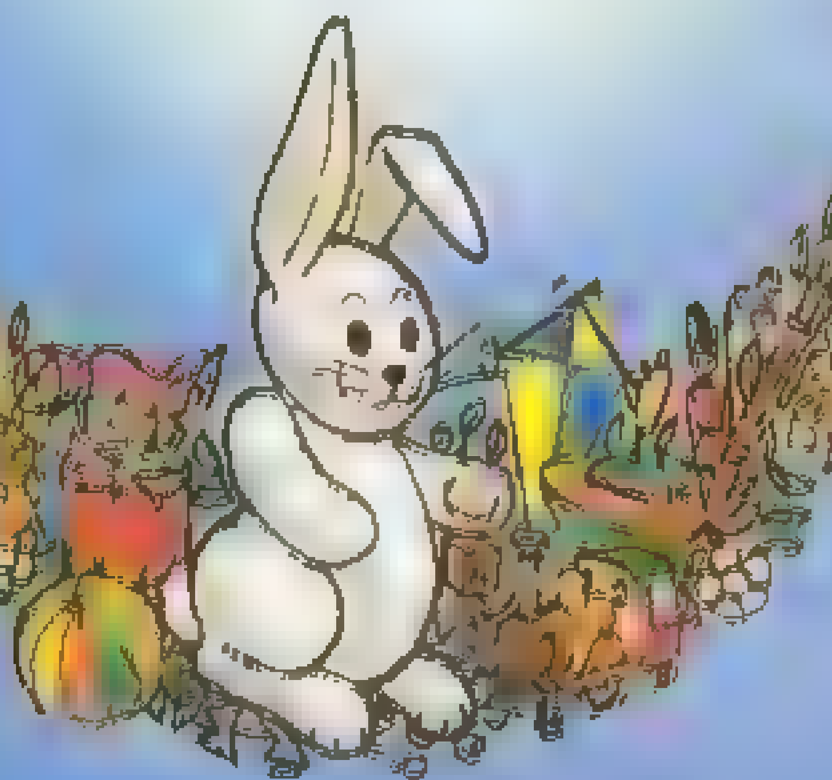
وَلَمْ تَسْتَطِعِ المَلِكَةُ أَنْ تُصَدِّقَ ما حَدَثَ. وَأَخْبَرَتْ بِلاسْم أَنَّ هَدِيَّتَهُ كانَتْ أَعْجَبَ هَداياهُمْ جَميعًا، وأَنَّها أَنْسَبُ هَدِيَّةٍ لِأَميرَةِ الأَزْهارِ. وسَأَلَتْهُ: «ما اسْمُكَ أَيُّها القَزَمُ اللَّطيفُ؟»

وأَجابَ: «إِنَّهُمْ يَدْعونَني بِلاسْم، لِأَنَّهُ لَمْ يُطْلَقْ عَلَيَّ اسْمٌ»

قالَتِ المَلِكَةُ: «ما هذا السُّخْفُ؟ سَوْفَ يَكونُ لَكَ اسْمٌ، وسَيَكونُ لَكَ وَظيفَةٌ أَيْضًا. مِنَ الآنَ فَصاعِدًا سَوْفَ تَكونُ بُسْتانِيَّ الحَدائِقِ المَلَكِيَّةِ.. وأَكْثَرُ مِنْ هٰذا سَوْفَ نَدْعوكَ بِكُلِّ وُدٍّ بِاسْمِ: فتى البَساتينِ.»



تِنّينُ الجِبالِ الزَّرْقاء





كانَ هناكَ بُستانٌ يَقَعُ بالقُربِ مِنْ طَريقٍ عامٍّ يَمُرُّ بِهِ التُّجّارُ والمُسافِرونَ. وكانَ بداخِلِ البُستانِ بئرُ ماءٍ عَذْبٍ ولَمْ يَكُنْ في هذِهِ المِنطَقَةِ مَصدَرٌ آخَرُ لِلْماءِ سِوى هذِهِ البِئْرِ. وكانَ في البُستانِ أيْضًا كوخٌ يَعيشُ فيهِ رَجُلٌ ضَئيلُ الجِسْمِ وكانَ يَعيشُ وَحيدًا، ولَمْ يَكُنْ يُشاهِدُ أحَدًا سِوى أُولئِكَ المُسافِرينَ الَّذينَ يَتَوَقَّفونَ عِنْدَ البِئْرِ طَلَبًا لِلْماءِ

وقَدْ ثَبَّتَ الرَّجُلُ جَرَسًا صَغيرًا بِجِوارِ البِئْرِ، حَتّى إذا ما جاءَ مُسافِرٌ وحَرَّكَ المِقْبَضَ لِيَرْفَعَ قَليلًا مِنْ ماءِ البِئْرِ فإنَّ الجَرَسَ يَرِنُّ وعِنْدَما كانَ الرَّجُلُ الضَّئيلُ الجِسْمِ يَسْمَعُ صَوْتَ الجَرَسِ، كانَ يُسْرِعُ إلى مَخْزَنِهِ حَيْثُ كانَ يَحْتَفِظُ بِكُلِّ أصْنافِ الطَّعامِ الشَّهِيَّةِ، مِنْ فَطائِرَ وكَعْكٍ وخُبْزٍ



وجُبْنٍ. وكانَ يَضَعُها كُلَّها في سَلَّةٍ ويَأْخُذُها إلى المُسافِرِ الَّذي أتى البِئْرَ. وكانَ المُسافِرونَ يَشْكُرونَهُ دائِمًا، وقَدْ يَسْأَلونَهُ: «تُرى كَمْ يَنْبَغي نَدْفَعَ لَكَ مُقابِلَ هذا الطَّعامِ؟» وكانَ الرَّجُلُ الضَّئيلُ الجِسْمِ يُجيبُ: «احْكوا لي قِصَّةً مِنْ فَضْلِكُمْ.» كانَتِ القِصَّةُ هِيَ المُقابِلَ الَّذي [illegible]

وفي يَوْمٍ مِنْ أيّامِ الصَّيْفِ الحارَّةِ جاءَ مُسافِرٌ، وكانَ ظَمْآنَ جِدًّا وما أنْ ألْقى بالدَّلْوِ في البِئْرِ لِيَرْفَعَ قَليلًا مِنَ الماءِ، حَتّى رَنَّ الجَرَسُ الصَّغيرُ. سَمِعَ الرَّجُلُ الضَّئيلُ الجِسْمِ رَنينَ الجَرَسِ، وخَرَجَ مِنْ مَنْزِلِهِ حامِلًا سَلَّةً مَمْلوءَةً بِالخُبْزِ والجُبْنِ والفَطيرِ والكَعْكِ لِيُقَدِّمَها إلى المُسافِرِ المُرْهَقِ

سُرَّ المُسافِرُ، وسَأَلَ الرَّجُلَ الضَّئيلَ الجِسْمِ: «تُرى كَمْ يَنْبَغي أَنْ أَدْفَعَ لَكَ مُقابِلَ هٰذا الطَّعامِ؟»

وأَجابَهُ الرَّجُلُ: «لا شَيْءَ! ولٰكِنْ هَلْ تَتَفَضَّلُ وتَحْكي لي قِصَّةً؟»

قالَ المُسافِرُ: «إِنَّني لا أَعْرِفُ أَيَّةَ قِصَّةٍ. ولٰكِنَّ شَيْئًا عَجيبًا حَدَثَ لي



... أَيّامٍ قَليلَةٍ عِنْدَما كُنْتُ أَمُرُّ بِالقَرْيَةِ الواقِعَةِ عِنْدَ سَفْحِ الجِبالِ الزَّرْقاءِ. لَمْ تَكُنْ روحُ السَّعادَةِ والبَهْجَةِ تُرَفْرِفُ عَلَيْها مِثْلَ مُعْظَمِ القُرى الَّتي أَمُرُّ بِها، كانَتْ صامِتَةً، وكادَ كُلُّ مَنْ رَأَيْتُهُ يَبْدو خائِفًا. لِذٰلِكَ عِنْدَما ذَهَبْتُ لِأَشْتَرِيَ بَعْضَ الخُبْزِ سَأَلْتُ الخَبّازَ لِماذا يَبْدو كُلُّ واحِدٍ مَذْعورًا. فَأَجابَني: «لا... إِنَّهُ بِسَبَبِ التِّنّينِ»

وقُلْتُ: «لَقَدْ سَمِعْتُ عَنِ التِّنّينِ، ولٰكِنْ لا أَظُنُّ أَنَّهُ مَوْجودٌ.»

وقالَ الخَبّازُ: «إِنَّهُ مَوْجودٌ بِالتَّأْكيدِ، ويَعيشُ في كَهْفٍ يَقَعُ في مُنْتَصَفِ المَسافَةِ الَّتي بَيْنَنا وبَيْنَ قِمَّةِ الجَبَلِ حَيْثُ الثُّلوجُ. وهٰذا هُوَ سَبَبُ خَوْفِ النّاسِ، لِأَنَّنا غَيْرُ مُتَأَكِّدينَ بِالمَرَّةِ مِمّا سَيَفْعَلُهُ التِّنّينُ.»

وسَأَلْتُ الخَبّازَ: «هَلْ يُؤْذي التِّنّينُ النّاسَ؟»

وأَجابَ الخَبّازُ: «كَلّا، إِنَّهُ لَمْ يُؤْذِ حَتّى الآنَ أَحَدًا، ولٰكِنْ عِنْدَما يَصْعَدُ صِبْيَةُ الرّاعي سَفْحَ الجَبَلِ خَلْفَ الأَغْنامِ والمَعْزِ، فَإِنَّهُ يَخْرُجُ في بَعْضِ الأَحْيانِ، ويَزْأَرُ زَئيرًا عالِيًا مُخيفًا. ثُمَّ يَنْفُثُ أَلْسِنَةَ لَهَبٍ، فَيَرْتَعِبُ صِبْيَةُ الرّاعي والأَغْنامُ والمَعْزُ، ويَخافُ كُلُّ مَنْ في القَرْيَةِ. هَبْ أَنَّهُ نَزَلَ مِنَ الجَبَلِ، ماذا سَيَحْدُثُ عِنْدَئِذٍ؟»

ثُمَّ ظَهَرَتْ عَلاماتُ التَّفْكيرِ عَلى وَجْهِ الخَبّازِ، وقالَ: «إِنَّهُ شَيْءٌ عَجيبٌ. فَنَحْنُ لَمْ نَرَهُ مُنْذُ فَتْرَةٍ. فَعِنْدَما بَدَأَ الطَّقْسُ يَزْدادُ دِفْئًا مُنْذُ أَسابيعَ قَليلَةٍ انْهارَتْ مِنْ أَعْلى الجَبَلِ كُتَلٌ ثَلْجِيَّةٌ ضَخْمَةٌ، ولَمْ نَرَهُ مُنْذُ ذٰلِكَ الوَقْتِ. وأَتَمَنّى أَلّا نَراهُ مَرَّةً أُخْرى!»

وبَيْنَما كانَ المُسافِرُ يَرْوي قِصَّتَهُ، راحَ الرَّجُلُ ضَئيلُ الجِسْمِ يُصْغي وقَدِ ازْدادَ اهْتِمامًا، ثُمَّ قالَ:

«يَنْبَغي أَنْ أَذْهَبَ لِأَتَبَيَّنَ إِذا كُنْتُ أَسْتَطيعُ رُؤْيَةَ هٰذا المَخْلوقِ. لَقَدْ سَمِعْتُ عَنِ التَّنانينِ، وَلٰكِنِّي لَمْ أَكُنْ أَعْتَقِدُ في وُجودِهِ. فَشُكْرًا عَلى هٰذِهِ القِصَّةِ المُدْهِشَةِ.» وَسَأَلَ المُسافِرَ عَنِ المَسافَةِ بَيْنَهُ وَبَيْنَ الجِبالِ الزَّرْقاءِ، فَأَجابَهُ: «إِنَّها عَلى مَسيرَةِ أَرْبَعَةَ عَشَرَ يَوْمًا تَقْريبًا في اتِّجاهِ الشَّرْقِ وَعَلى امْتِدادِ الطَّريقِ العامِّ. وَسَوْفَ تَبْلُغُ بَعْدَ حَوالَى سَبْعَةِ أَيّامٍ غَديرًا. اِتْبَعْهُ في اتِّجاهِ الجَبَلِ وَسَوْفَ تَصِلُ إِلى القَرْيَةِ.»

رَحَلَ المُسافِرُ، وَبَدَأَ الرَّجُلُ الضَّئيلُ الجِسْمِ رِحْلَتَهُ.

سارَ سَبْعَةَ أَيّامٍ حَتّى أَتى الغَديرَ الَّذي حَدَّثَهُ عَنْهُ المُسافِرُ. وَكانَ ما مَعَهُ مِنْ ماءٍ قَدْ نَفِدَ، وَلٰكِنْ كانَ في الغَديرِ ماءٌ وَفيرٌ. فَشَرِبَ وَارْتَوى. وَقَبْلَ انْقِضاءِ اليَوْمِ الثّالِثَ عَشَرَ نَفِدَ ما مَعَهُ مِنْ طَعامٍ، وَكانَ مُرْهَقًا لِلْغايَةِ حَتّى إِنَّهُ رَقَدَ عَلى ضَفَّةِ الغَديرِ وَاسْتَغْرَقَ في النَّوْمِ.

وَعِنْدَما أَفاقَ مِنْ نَوْمِهِ صَباحَ اليَوْمِ التّالي، اسْتَطاعَ أَنْ يَشُمَّ رائِحَةَ خُبْزٍ يُخْبَزُ، وَأَدْرَكَ أَنَّهُ لا بُدَّ أَنْ يَكونَ قَريبًا مِنَ القَرْيَةِ الَّتي يَسْعى إِلَيْها. وَلَمّا تَتَبَّعَ رائِحَةَ الخُبْزِ عَثَرَ في الحالِ عَلى حانوتِ الخَبّازِ وَسَطَ القَرْيَةِ.

سَأَلَهُ الخَبّازُ وَهُوَ يُناوِلُهُ بَعْضَ الخُبْزِ «إِلى أَيْنَ أَنْتَ ذاهِبٌ؟»

وَقالَ الرَّجُلُ الضَّئيلُ الجِسْمِ: «حَسَنًا. إِنِّي أَبْحَثُ عَنِ التِّنّينِ. وَأَعْتَقِدُ أَنَّ كائِنًا مِثْلَ هٰذا التِّنّينِ مَوْجودٌ.»

قالَ الخَبّازُ «إِنَّهُ مَوْجودٌ بِالتَّأْكيدِ، أَوْ كانَ مَوْجودًا بِالتَّأْكيدِ، وَلٰكِنّي لَمْ أَرَهُ مُنْذُ فَتْرَةٍ.»

وَقالَ الرَّجُلُ الضَّئيلُ الجِسْمِ «حَسَنًا، أُريدُ أَنْ أَصْعَدَ الجَبَلَ وَأَراهُ.»

قالَ الخبّازُ: «إنّكَ رجلٌ شجاعٌ جدًّا.»

«لقدْ أخبرَني أحدُ المسافرينَ أنّهُ لمْ يؤذِ إنسانًا قطُّ، وأنَّ كلَّ ما كانَ يفعلُهُ الزّئيرُ ونفثُ ألسنةِ اللّهبِ.»

قالَ الخبّازُ: «هذا صحيحٌ إنّهُ لمْ يؤذِ أحدًا حتّى الآنَ.»

وسألَ الرّجلُ الضّئيلُ الجسمِ: «ما الّذي يُدريكَ أنّهُ سيؤذي أحدًا بعدَ ذلكَ؟ لعلّهُ لا يودُّ إيذاءَ أحدٍ. ألمْ تفكّرْ في هذا؟»

أجابَ الخبّازُ: «لا، لمْ أفكّرْ. ولكنْ لماذا يزأرُ في كلِّ مرّةٍ يصعدُ فيها صبيةُ الرّاعي سفحَ الجبلِ؟»

قالَ الرّجلُ الضّئيلُ الجسمِ: «لا أدري. ولكنْ لماذا تخرجُ الكلابُ وتنبحُ؟ ولماذا تغرّدُ الطّيورُ؟ لا بدَّ أنّ هناكَ سببًا، وسأكتشفُ السّببَ.»



أمضى الرّجلُ الضّئيلُ الجسمِ النّهارَ بأكملِهِ في تسلّقِ جانبِ الجبلِ حتّى بلغَ الكهفَ، ثمّ عثرَ بالقربِ منهُ على بقعةٍ آمنةٍ نامَ فيها.

صحا في اليومِ التّالي مبكّرًا، وتوجّهَ نحوَ مدخلِ الكهفِ، وصاحَ «أما منْ أحدٍ هنا؟ هلْ يعيشُ التّنّينُ هنا؟» ولمْ يسمعْ سوى صدى صوتِهِ يتردّدُ عاليًا بينَ جنباتِ الكهفِ. ولكنّهُ واصلَ صياحَهُ قائلًا: «لقدْ سمعتُ أنّ تنّينًا يعيشُ هنا، وهوَ تنّينٌ ضخمٌ مخيفٌ يزأرُ فيبثُّ الرّعبَ في قلوبِ صبيةِ الرّاعي. أينَ أنتَ أيّها التّنّينُ؟ هلْ أنتَ هناكَ داخلَ الكهفِ؟»

وعندئذٍ سمعَ صوتًا غريبًا حقًّا، دوّى هكذا: «بوو هوو هووو»، ثمّ أعقبَهُ صوتُ رشاشِ ماءٍ.





«يا إلهي، ما الّذي يَحْدُثُ هُناكَ بِالدّاخِلِ؟» تَساءَلَ الرَّجُلُ الضَّئيلُ الجِسْمِ، ثُمَّ تَقَدَّمَ داخِلَ الكَهْفِ.

ورَدَّ صَوْتٌ مُفْعَمٌ بِالأَنينِ والنَّشيجِ: «إنّي التِّنّينُ.»

«التِّنّينُ؟ إنَّكَ لا تُشْبِهُ التَّنانينَ في شَيْءٍ! كُنْتُ أَظُنُّ أَنَّ التَّنانينَ مَخْلوقاتٌ مُتَوَحِّشَةٌ.»

قالَ التِّنّينُ وهُوَ يَنْشِجُ: «إنّي مُتَوَحِّشٌ.»

قالَ الرَّجُلُ الضَّئيلُ الجِسْمِ «إنَّكَ لا تَبْدو مُتَوَحِّشًا أَمامي، إنَّكَ تَبْدو ـس لَوْ كُنْتَ تَبْكي. بِماذا تَبْكي؟ إنَّهُ لَمْ يَخْطُرْ بِبالي قَطُّ، ولَوْ لِلَحْظَةٍ ـاحِدَةٍ، أَنَّ التِّنّينَ يَبْكي. ماذا حَدَثَ؟»

وقالَ التِّنّينُ «لَمْ يَعُدْ بِاسْتِطاعَتي الزَّئيرُ ونَفْثُ أَلْسِنَةِ اللَّهَبِ فَمُنْذُ ـسْعَةِ أَيّامٍ كُنْتُ أَقِفُ أَمامَ مَدْخَلِ الكَهْفِ عِنْدَما انْهارَتْ كُتْلَةٌ ضَخْمَةٌ ـنَ الثَّلْجِ. ولَمّا الْتَفَتُّ لِأَرى ما يَحْدُثُ سَقَطَتْ بَعْضُ الثَّلْجِ فَانْطَفَأَ ما لَدَيَّ ـنْ أَلْسِنَةِ اللَّهَبِ، وأُصِبْتُ بِالْتِهابٍ في حَلْقي ولَمْ أَعُدْ قادِرًا عَلى الزَّئيرِ»

سَأَلَ الرَّجُلُ الضَّئيلُ الجِسْمِ «لِماذا تُريدُ الزَّئيرَ ونَفْثَ أَلْسِنَةِ اللَّهَبِ؟»

«حَسَنًا، مِنَ المَفْروضِ أَنَّ التَّنانينَ تَفْعَلُ هٰذا، وأَنْ لَيْسَ لَدَيَّ أَيُّ ـيْءٍ آخَرَ أَفْعَلُهُ.»

قالَ الرَّجُلُ الضَّئيلُ الجِسْمِ: «كَلّا، لا أَظُنُّ هٰذا. أَلَمْ تُحاوِلْ أَبَدًا ـ تُنْشِئَ صَداقَةً مَعَ أَحَدٍ؟»

وشَهَقَ التِّنّينُ وقالَ: «لا يُريدُ أَحَدٌ أَنْ يُصادِقَني!»

قالَ الرَّجُلُ الضَّئيلُ الجِسْمِ وقَدِ اسْتَغْرَقَهُ التَّفْكيرُ: «أَعْتَقِدُ أَنَّهُ لا يوجَدُ مَنْ يُصادِقُ تِنّينًا يَزْأَرُ في وَجْهِهِ ويَنْفُثُ عَلَيْهِ أَلْسِنَةَ اللَّهَبِ، أَظُنُّ أَنَّهُ يَخْشى أَنْ نَفْعَلَ شَيْئًا حِيالَ هٰذا.»

وواصَلَ حَديثَهُ قائِلًا: «يَنْبَغي قَبْلَ كُلِّ شَيْءٍ أَنْ أُعِدَّ لَكَ دَواءً ـعالٍ» وانْصَرَفَ، ثُمَّ عادَ بَعْدَ قَليلٍ ومَعَهُ أَعْشابٌ مُخْتَلِفَةٌ وبَعْضُ ـبِ الأَسْوَدِ. وعَثَرَ عَلى سُلْطانِيَّةٍ ومِغْرَفَةٍ كَبيرَةٍ في أَحَدِ أَرْكانِ ـهْفِ، فَمَزَجَ الأَشْياءَ كُلَّها مَعًا في قَليلٍ مِنَ الماءِ.

ثم قالَ لِلتِّنّينِ «والآنَ، افتحْ فمَكَ وأخرِجْ لِسانَكَ حَتّى أتمكَّنَ مِنَ الوصولِ إليْهِ. وسَوفَ آتي بِملءِ مِغرَفةٍ مِنَ المَريحِ الَّذي أعْدَدْتُهُ لِلسُّعالِ وأقذِفُ بِهِ في حَلْقِكَ. لِذا أرجو ألّا تُغلِقَ فمَكَ، أوْ تأتِيَ بأيّةِ حَماقةٍ!»

وقالَ التِّنّينُ: «كَلّا. كَلّا! لَنْ أفعَلَ طَبْعًا أيَّ شَيْءٍ»

وهكذا أحضَرَ الرَّجُلُ الضَّئيلُ الجِسْمِ مِلْعَقةً مَلأَها بالمَريحِ، ثُمَّ مَشى بِرِفقٍ حَتّى اقتَرَبَ مِنْ لِسانِ التِّنّينِ وأفرَغَ المِلْعَقةَ. وعادَ ومَلأَها وأفرَغَها، وكَرَّرَ عَمَلَهُ مَرّاتٍ. وبَعْدَ ذلِكَ طَلَبَ مِنَ التِّنّينِ أنْ يَذهَبَ ويَنامَ. وظَلَّ الرَّجُلُ الضَّئيلُ الجِسْمِ طَوالَ اللَّيْلِ مَعَ التِّنّينِ يَرْعاهُ ويُعْطيهِ بَيْنَ الحينِ والآخَرِ جُرْعةً مِنْ مَريحِ السُّعالِ، إلى أنْ أشرَقَتِ الشَّمْسُ.

قالَ الرَّجُلُ الضَّئيلُ الجِسْمِ: «رائعٌ! يَبدو أنَّ صَوْتَكَ قَدْ تَحَسَّنَ.»

قالَ التِّنّينُ: «نَعَمْ. ولكِنْ ماذا بِخُصوصِ اللَّهَبِ؟ كَيْفَ أستَعيدُهُ؟»

قالَ الرَّجُلُ الضَّئيلُ الجِسْمِ: «حَسَنًا، ماذا أنتَ فاعِلٌ بِألسِنةِ اللَّهَبِ إذا استَعَدْتَها؟ تَعِدُني ألّا تَستَخدِمَها أبَدًا في إثارةِ الرُّعْبِ في نُفوسِ صِبْيَةِ الرّاعي أوِ الأغنامِ أوِ النّاسِ في القَرْيةِ؟»

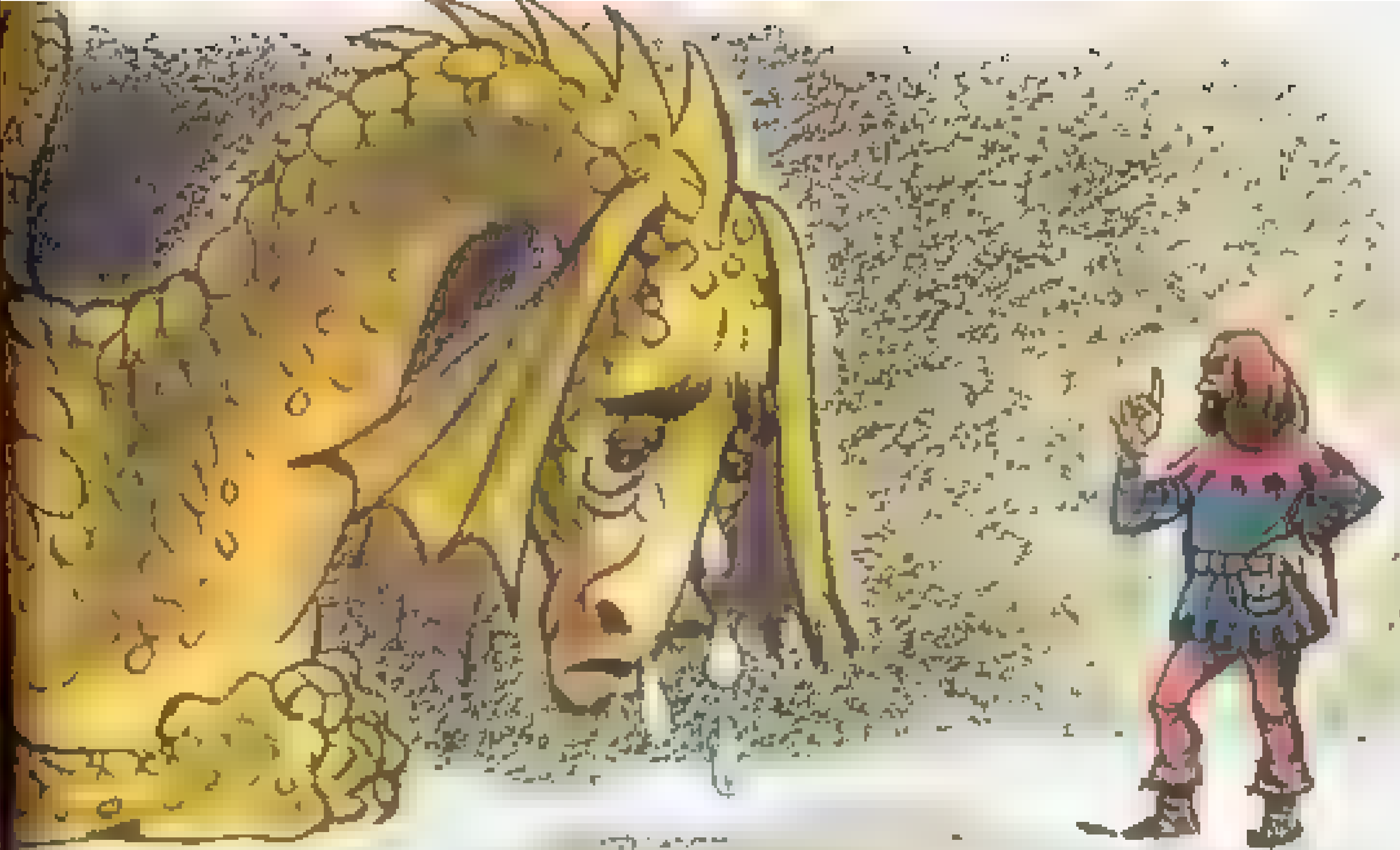
قالَ التِّنّينُ: «أعِدُكَ. أعِدُكَ.» عِندَئِذٍ شَرَعَ الرَّجُلُ الضَّئيلُ الجِسْمِ يَعمَلُ في أعشابِهِ مَرّةً ثانيةً، وفي هذِهِ المَرّةِ أعَدَّ دَواءً حارًّا، وصَبَّهُ في حَلْقِ التِّنّينِ. ثُمَّ عَمِلَ مِشعَلًا مِن عيدانِ القَشِّ الَّتي رَبَطَها في طَرَفِ عَصًا. وأشعَلَهُ وقَرَّبَهُ مِنْ حَلْقِ التِّنّينِ. شَهَقَ التِّنّينُ بِقُوّةٍ، وعِندَما أطلَقَ زَفيرًا شَديدًا انطَلَقَتْ مِنْ فَمِهِ ألسِنةُ لَهَبٍ هائلةٌ، وقَفَزَ الرَّجُلُ الضَّئيلُ الجِسْمِ بَعيدًا

نَجا بِحَياتِهِ، وقالَ: «وَدِدْتُ يا سَيِّدي التِّنّينَ لَوْ كُنْتَ أكثَرَ حِرْصًا. لَقَدْ كِدْتَ أنْ تُصيبَني بِحُروقٍ.»

قالَ التِّنّينُ: «إنّي آسِفٌ، فَلَمْ أكُنْ أتَوقَّعُ هذِهِ النَّتيجةَ الرّائعةَ. لَقَدْ كانَتْ رائعةً حَقًّا، ولكِنّي لَنْ أفعَلَ هذا مَرّةً أُخرى. هَيّا نَخرُجْ إلى الخَلاءِ نَتَنَسَّمِ الهَواءَ النَّقِيَّ.»

لَمْ يَكَدِ الاثنانِ يَمْشِيانِ بِضْعَ دَقائقَ حَتّى لَمَحَ التِّنّينُ صَبِيًّا مِنْ صِبْيَةِ الرّاعي يَصْعَدُ سَفْحَ الجَبَلِ، فَبَدَأَ يَزْأَرُ، وبَدَأَ أيضًا يَنفُثُ ألسِنةَ اللَّهَبِ.





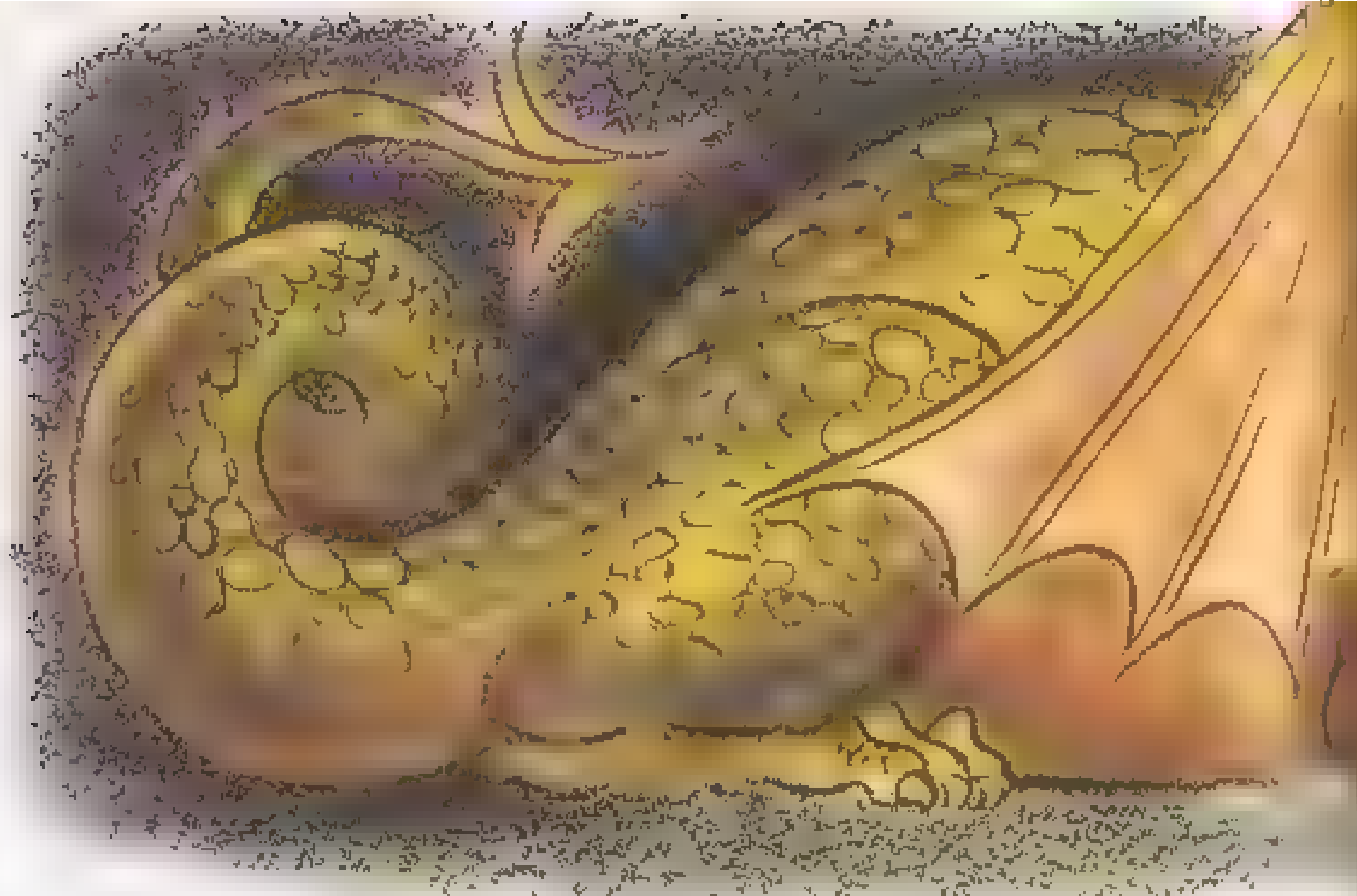
اِغْتاظَ الرَّجُلُ الضَّئيلُ الجِسْمِ لِأَنَّ التِّنّينَ نَقَضَ وَعْدَهُ واندَفَعَ يَجْري بِسُرْعَةٍ صاعِدًا سَفْحَ الجَبَلِ. وفي الحالِ عَثَرَ عَلى كُتْلَةٍ ضَخْمَةٍ مِنَ الثَّلجِ شَرَعَ يُدَحْرِجُها بِقُوَّةٍ إلى أَسْفَلَ، ثُمَّ صاحَ: «أَيُّها التِّنّينُ، أَيُّها التِّنّينُ انظُرْ إلَيَّ.» اِلْتَفَتَ التِّنّينُ، فَوَقَعَتْ كُتْلَةُ الثَّلجِ في فَمِهِ وسُمِعَ صَوتُ فَحيحٍ. لَقَدْ أَخْمَدَتْ كُتْلَةُ الثَّلجِ أَلْسِنَةَ لَهَبِ التِّنّينِ مَرَّةً أُخْرى. واغْتاظَ التِّنّينُ وانْزَعَجَ وبَدَأَ يَبْكي.

قالَ الرَّجُلُ الضَّئيلُ الجِسْمِ: «اِصْغِ إلَيَّ. لا تَنْزَعِجْ ولا تَبْكِ، بِأَنَّ بُكاءَكَ سَيُسَبِّبُ فَيَضانًا رُبَّما يَغْمُرُ سَفْحَ الجَبَلِ.»

فقالَ التِّنّينُ: «حَسَنًا، انْظُرْ ما فَعَلْتَهُ. لَقَدْ عُدْتُ إلى ما كُنْتُ فيهِ.»

قالَ الرَّجُلُ الضَّئيلُ الجِسْمِ بِحِدَّةٍ: «لَقَدْ وَعَدْتَ ونَقَضْتَ وَعْدَكَ.»

قالَ التِّنّينُ: «إنّي آسِفٌ. فَلَمْ أَقْصِدْ هذا في الواقِعِ. ولكِنّي لا أَعْرِفُ ماذا أَفْعَلُ. ما المَفْروضُ أَنْ يَفْعَلَهُ التِّنّينُ بِأَلْسِنَةِ لَهَبِهِ وزَئيرِهِ؟»



رَدَّ الرَّجُلُ الضَّئيلُ الجِسْمِ قائلًا: أنا لا أَعْرِفُ ما الَّذي تَفْعَلُهُ بِزَئيرِكَ، حَتّى أَعْرِفَ ما الَّذي يُمْكِنُكَ أَنْ تَفْعَلَهُ بِأَلْسِنَةِ اللَّهَبِ. أَشْياءُ كَثيرَةٌ يُمْكِنُكَ فِعْلُها. ومَعَ هذا فَأَوَّلُ الأَشْياءِ كَيْفَ تُصادِقُ أَهْلَ القَرْيَةِ بَدَلًا مِنْ إِرْعابِهِم؟ وهذا بِالتَّأْكيدِ خَيْرٌ لَكَ ولَهُمْ.»

وقالَ التِّنّينُ: «أوه، إنّي أُحِبُّ أَنْ يَكونَ لي أَصْدِقاءُ، ولكِنْ لَنْ يُحادِثَني أَحَدٌ.»

قالَ الرَّجُلُ الضَّئيلُ الجِسْمِ: «أَعْتَقِدُ أَنَّهُمْ سَيُحادِثونَكَ لَوْ تَكَلَّمْتُ أنا مَعَهُمْ أَوَّلًا. والآنَ عَلَيْنا أَنْ نُعيدَ إِلَيْكَ أَلْسِنَةَ اللَّهَبِ ثانِيَةً، وبَعْدَ ذلِكَ سَوْفَ أَهْبِطُ وأُقابِلُ أَهالِيَ القَرْيَةِ. وعَلَيْكَ أَنْ تَعِدَني بِأَلّا تَزْأَرَ أَوْ تَنْفُثَ أَلْسِنَةَ اللَّهَبِ أَثْناءَ غِيابي، وإلّا أَرْعَبْتَهُمْ كُلَّهُمْ.» وأَعادَ الرَّجُلُ الضَّئيلُ الجِسْمِ أَلْسِنَةَ اللَّهَبِ ثانِيَةً إلى التِّنّينِ، ثُمَّ هَبَطَ سَفْحَ الجَبَلِ مُتَّجِهًا نَحْوَ القَرْيَةِ.



كانَ الخبّازُ أوّلَ شخصٍ قابَلَهُ في القريةِ ، وقدِ اندهشَ لِلغايةِ عِندما رآهُ ثانيةً. وعِندما سمِعَ الخبّازُ ما حدثَ جمعَ أهاليَ القريةِ معًا وروى لهُمُ القِصّةَ ، ولكنّهم كانوا حائرينَ فيما يفعلونَهُ.

قالَ الرّجُلُ الضّئيلُ الجسمِ : «منَ الأفضلِ بالتّأكيدِ اتّخاذُ التّنّينِ صديقًا بدلًا منَ الارتعابِ منهُ طوالَ الوقتِ. إنّهُ يستطيعُ أنْ يُساعِدَكُم.»

وافقَ شبابُ القريةِ. وكانَ مِن رأيِهِمْ أنّ الوقتَ قدْ حانَ بِعقدِ اتّفاقٍ معَ التّنّينِ. وقرّروا الذّهابَ لِمُقابلتِهِ.

سُرّ التّنّينُ ، وبدأَ يهبِطُ سفحَ الجبلِ. ولمْ يستغرِقْ وقتًا طويلًا ، لأنّ خطواتِهِ كانتْ هائلةً. وسُرعانَ ما وصلَ حيثُ شبابُ القريةِ. وقالَ الرّجُلُ الضّئيلُ الجسمِ : «ها هُوَ ذا التّنّينُ الّذي كُنتُم تخافونَهُ. إنّهُ في الواقعِ تِنّينٌ وديعٌ. وكلُّ ما يُريدُهُ أنْ يُصادِقَكُم. فهلْ تُصبِحونَ أصدقاءَهُ؟»

هلّلَ الجميعُ ثُمّ قالوا : «لِنعُدْ إلى القريةِ»

وقالَ التّنّينُ : «اِقفِزوا على ظهري وسأحمِلُكُمْ إلى هُناكَ.»

وعِندما بلغَ القريةَ لمْ يرَ أحدًا هُناكَ فقدْ كانَ أهالي القريةِ مُختبئينَ وراءَ الجُدرانِ وداخِلَ المنازِلِ.

فصاحَ الرّجُلُ الضّئيلُ الجسمِ : «ها هُوَ التّنّينُ الّذي يُريدُ أصدقاءَ. فهلْ تُصبِحونَ أصدقاءَهُ؟»

أجابَ أهالي القريةِ بِصيحةٍ عاليةٍ : «نعمْ ، سوفَ نكونُ أصدقاءَهُ ، نحنُ نودُّ ذلكَ.» وأطلقَ التّنّينُ زئيرًا عاليًا ، ثُمّ قالَ . «إنّي آسِفٌ ، لمْ أكُنْ أقصِدُ الزّئيرَ ، فقدْ كُنتُ مسرورًا فحسبُ.»

وتلفّتَ الرّجُلُ الضّئيلُ الجسمِ حولَهُ قائلًا : «أينَ الخبّازُ؟»

فصاحَ الخبّازُ : «إنّي هُنا. وسأذهَبُ على الفورِ لأخبِزَ بعضَ الخُبزِ.»

وسألَهُ الرّجُلُ الضّئيلُ الجسمِ : «ألمْ تُشعِلْ نارَ الفُرنِ بعدُ؟» أجابَ الخبّازُ : «كلّا ، ليسَ بعدُ» فقالَ الرّجُلُ الضّئيلُ الجسمِ «حسنًا ، ألمْ أقُلْ لكَ يا سيّدي التّنّينُ؟ إليكَ عملًا بسيطًا – أدخِلْ رأسَكَ مِن خِلالِ ذلكَ البابِ الضّخمِ. هلْ ترى تِلكَ الفتحةَ هُناكَ؟ إنّ حطبَ فُرنِ الخبّازِ موجودٌ فيها. ما عليكَ إلّا أنْ تنفُثَ فيهِ بعضًا مِنْ ألسِنةِ لهبِكَ.»

وقالَ التّنّينُ في حيرةٍ : «أأنفُثُ اللّهبَ وأنتَ نهيتني عنْ ذلكَ؟»

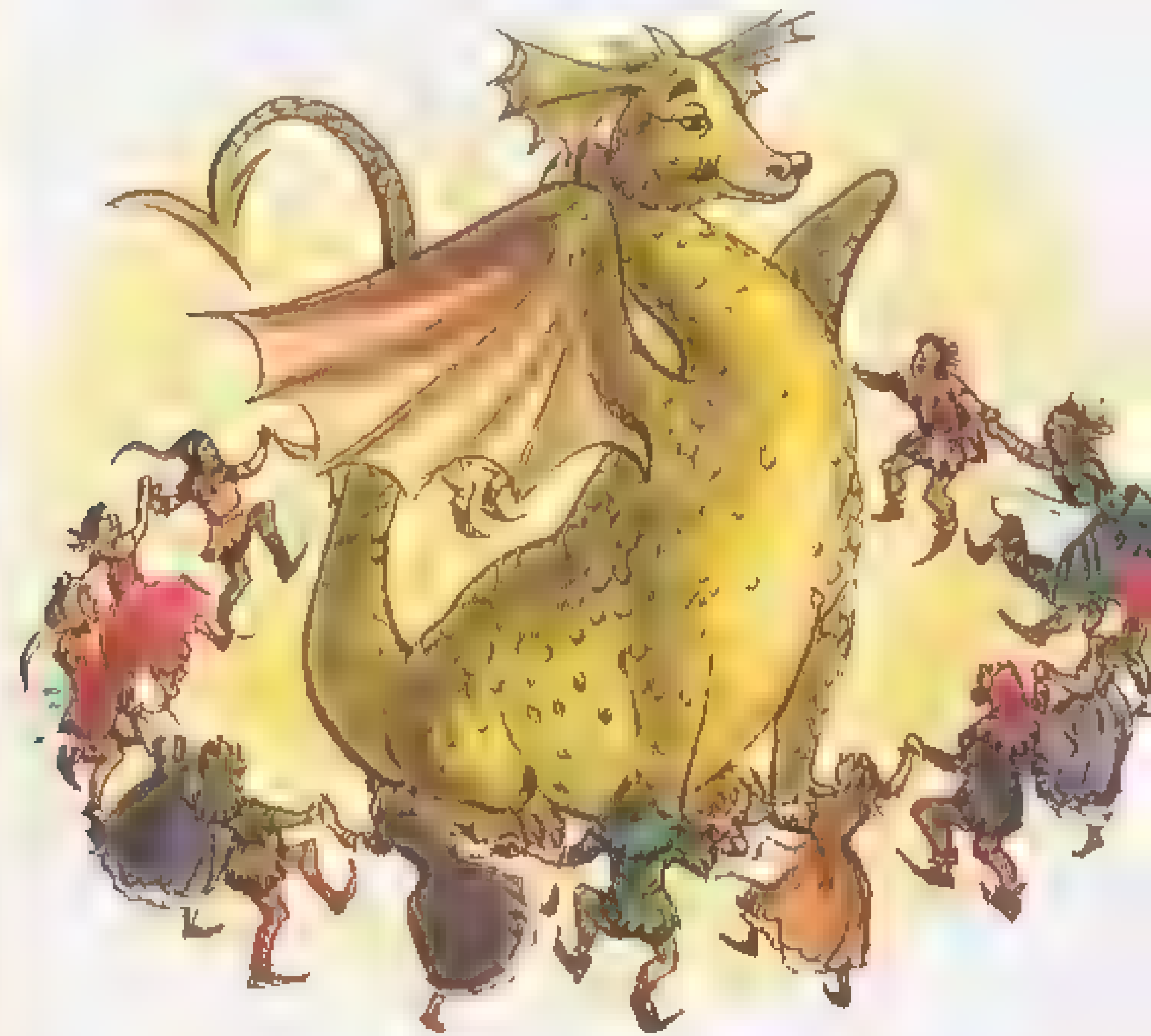
ردّ الرّجُلُ الضّئيلُ الجسمِ قائلًا : «يُمكِنُكَ أنْ تنفُثَ ألسِنةَ اللّهبِ هذهِ المرّةَ فقطْ في تِلكَ الفتحةِ الموجودةِ هُناكَ.»

نَفَخَ التِّنّينُ «ووُوُوش». فاشْتَعَلَ الفُرْنُ ، ونَضِجَ الخُبْزُ والكَعْكُ.

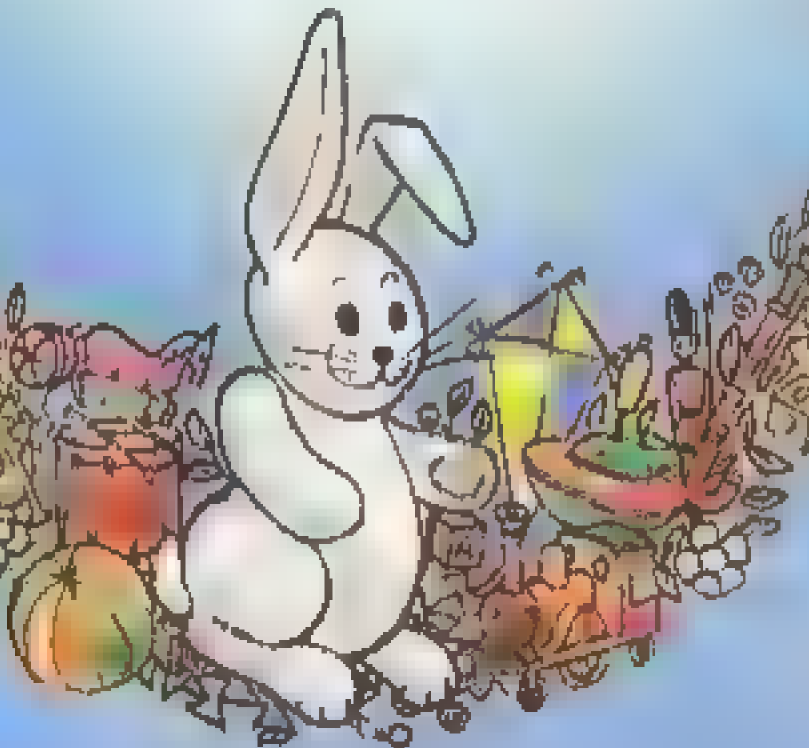
ثُمَّ إنَّهُ نَفَخَ في مِياهِ البُحَيْرَةِ البارِدَةِ ، فأَسْرَعَ الأَوْلادُ يَسْبَحونَ فيها فَرِحينَ.

واسْتَمَرَّ التِّنّينُ يَقومُ بِكافَّةِ أَنْواعِ الأَعْمالِ الَّتي مِنْ شَأْنِها مُساعَدَةُ الأَهالي ، وسُرْعانَ ما أَحَبَّهُ كُلُّ واحِدٍ مِنْهُمْ.

وكانَ الرَّجُلُ الضَّئيلُ الجِسْمِ مَسْرورًا أَيْضًا لِأَنَّهُ قَرَّرَ أَنْ يَعيشَ في القَرْيَةِ مَعَ جَميعِ أَصْدِقائِهِ الجُدُدِ. وهٰكَذا عاشَ الجَميعُ سُعَداءَ.



تُونْغا
السُّلَحْفَاةُ المُزَمْجِرَة



هَلْ سَبَقَ لَكَ أَنْ سَمِعْتَ سُلَحْفَاةً تُزَمْجِرُ؟ نَعَمْ، تُزَمْجِرُ؟ حَسَنًا، لَقَدْ كانَتْ «تونغا» تَفْعَلُ ذٰلِكَ! وتونغا سُلَحْفاةٌ كانَتْ تَعيشُ مَعَ عائِلَةٍ نَديم، وكانَ الجَميعُ يُحِبّونَها ويَعْطِفونَ عَلَيْها.

وكانَتِ العائِلَةُ تَقْتَني كَلْبًا صَغيرًا اسْمُهُ بَرْق، وكانَ مَصْدَرَ الإزْعاجِ الوَحيدِ لِتونْغا، وهوَ السَّبَبُ الَّذي دَفَعَها إلى تَعَلُّمِ الزَّمْجَرَةِ. فَقَدْ دَأَبَ بَرْق عَلى مُحاوَلَةِ اللَّعِبِ مَعَ تونْغا، وكانَ يَتَمادَى أَحْيانًا في اللَّعِبِ فَيَبْدو خَشِنًا فَظًّا. ولَمْ يَكُنْ بِالطَّبْعِ يَقْصِدُ إيذاءَها فَقَدْ كانَ في الواقِعِ كَلْبًا لَطيفًا، لا يَقْصِدُ سِوَى اللَّعِبِ غَيْرَ أَنَّهُ كانَ أَكْبَرَ حَجْمًا وأَقْوى جِسْمًا مِنْ تونْغا، الَّتي مَنَعَتْها صَدَفَتُها الثَّقيلَةُ مِنَ التَّحَرُّكِ بِسُرْعَةٍ.

إعْتادَ بَرْق أَنْ يَجْري مُنْدَفِعًا نَحْوَ تونْغا، عِنْدَما تَكونُ في حَديقَةِ المَنْزِلِ تَسْتَمْتِعُ في هُدوءٍ بِقَضْمِ الحَشائِشِ. فَيُدَحْرِجُها عَلى الأَرْضِ مِثْلَ الكُرَةِ. وكانَ يُحاوِلُ في بَعْضِ الأَحْيانِ أَنْ يُطَوِّحَ بِها في الهَواءِ.

ولَمْ تَكُنْ تونْغا المِسْكينَةُ تَدْري ماذا تَفْعَلُ. كانَتِ الدَّحْرَجَةُ عَلى الأَرْضِ تُمْرِضُها، وكانَ التَّطْويحُ في الهَواءِ مُفْزِعًا ويُسَبِّبُ لَها الدُّوارَ

كانَ الأَمْرُ عَسيرًا حَقًّا عَلى تونْغا، لِأَنَّ السَّلاحِفَ لا تُصْدِرُ عادَةً أَصْواتًا، لِذٰلِكَ لَمْ تَكُنْ تَعْرِفُ كَيْفَ تَضَعُ حَدًّا لِخُشونَةِ بَرْق. كانَتْ تَسْتَمْتِعُ بِاللَّعِبِ فَوْقَ حَشائِشِ الحَديقَةِ ولٰكِنْ كَيْفَ تَسْتَمْتِعُ بِاللَّعِبِ إذا أُصيبَتْ بِالدُّوارِ؟ فَكَّرَتْ تونْغا بِالأَمْرِ كَثيرًا، وصَمَّمَتْ أَنْ تَجِدَ حَلًّا.





أَخَذَتْ تَسْتَمِعُ بلى الأَصْواتِ الَّتي يُطْلِقُها بَرْق. كانَ يَسُحُ عِنْدما يَكونُ مَسْرورًا، ولٰكِنَّهُ كانَ يُزَمْجِرُ عِنْدما يَغْضَبُ.

آهِ لَو تَسْتَطيعُ فَقَطْ أَنْ تُزَمْجِرَ أَيْضًا لِتُرِيَ بَرْقًا أَنها لا تَقِلُّ أَنْ يُدَحْرِجَها أَوْ يُصَوِّحَ بِهِ في الهَواءِ! وقَرَّرَتْ تونْغا أَنَّهُ لا بَديلَ عَنْ هذا الحَلِّ، وعَلَيْها الآنَ أَنْ تَتَعَلَّمَ كَيْفَ تُزَمْجِرُ.

كانَتْ تَعْلَمُ أَنَّ الأَمْرَ لَنْ يَكونَ سَهْلًا. وبَدَأَتِ الصُّعوباتُ تَتَكَشَّفُ لَها، فَمِنْ أَيْنَ لَها الصَّوْتُ الَّذي سَتُزَمْجِرُ بِهِ؟ ولٰكِنَّها صَمَّمَتْ أَنْ تُزَمْجِرَ، وتُونْغا عِنْدما تُصَمِّمُ أَنْ تَفْعَلَ شَيْئًا فإِنَّها تَفْعَلُهُ مَهْما بَدا صَعْبًا.



أَخَذَتْ تُونْغا تَبْذُلُ مُحاوَلاتٍ جادَّةً لِلزَّمْجَرَةِ عِنْدَما تَكونُ بِمُفْرَدِها، وتَمَكَّنَتْ بِالتَّدْريجِ مِنْ إِطْلاقِ زَمْجَرَةٍ لا بَأْسَ بِها كانَتْ تَدْفَعُ بِرَأْسِها مِنْ تَحْتِ صَدَفَتِها، وتُديرُ عَيْنَيْها، ثُمَّ تَهُزُّ رَأْسَها وتَفْتَحُ فَمَها. وهُنا تُطْلِقُ زَمْجَرَةً عالِيَةً «غرررررر.»

وأَخيرًا، وبَعْدَ مِرانٍ طَويلٍ، قَرَّرَتْ تُونْغا أَنَّ الزَّمْجَرَةَ مِنَ القُوَّةِ بِحَيْثُ تَكْفي لِوَضْعِ حَدٍّ لِخُشونَةِ بَرْق.

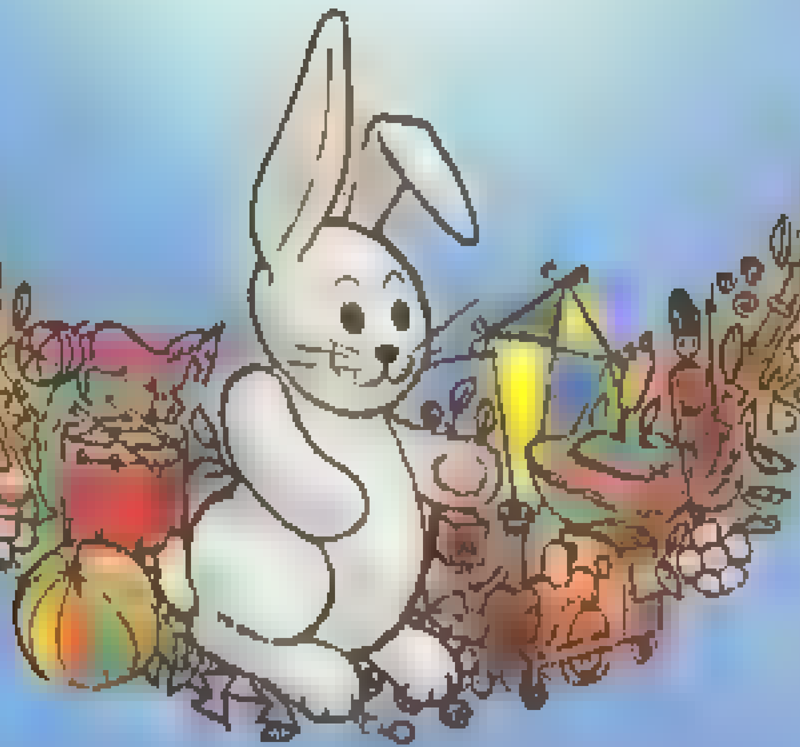
وفي مَرَّةٍ اندَفَعَ بَرْق ناحِيَةَ تُونْغا وهَمَّ أَنْ يَدْفَعَها بِأَنْفِهِ، وهُنا زَمْجَرَتْ تُونْغا: «عرررررر.»

إِنْزعج بَرْق   ولَمْ يستَطِعْ أَنْ يُصَدِّقَ أُذُنَيْه   وكَرَّرَ المُحاوَلَةَ ولكِنَّ تونْغا كانَتْ تَزْمَجِرُ . «عِرررررر .» وفي كُلِّ مَرَّةٍ كانَتِ الزَّمْجَرَةُ تَأْتي أَقْوى مِنْ سابِقَتِها .

مِسْكينٌ بَرْق . وَقَفَ ساكِنًا تَمامًا ، ثُمَّ زَحَفَ نَحْوَ تونْغا وأَخَذَ يَلْعَقُ صَدَفَتَها بِلُطْفٍ ، وسُرَّتْ هِيَ بِذٰلِكَ . فأَطَلَّتْ بِرَأْسِها وزَمْجَرَتْ زَمْجَرَةً خَفيفَةً . وبَدَأَ بَرْق يُدْرِكُ أَنَّ تونْغا تَرْغَبُ في صَداقَتِهِ ومُشارَكَتِهِ اللَّعِبَ . ولٰكِنَّها تَرْفُضُ أَنْ يُطَوِّحَ بِها في الهَواءِ ، أَوْ يُدَحْرِجَها عَلَى الأَرْضِ . وفَهِمَ الواحِدُ مِنْهُما بَعْدَ ذٰلِكَ طِباعَ الآخَرِ ، وقَضَيا مَعًا ساعاتٍ هَنيئَةً في اللَّعِبِ والمَرَحِ .



الفِئْرانُ الأَرْبَعَة



كانَ يَنْبَعِثُ مِنْ جُحْرِ الفِئْرانِ الأَرْبَعَةِ، الواقِعِ في جِذْعِ شَجَرَةِ تُوتٍ، أَصْواتُ ضَحِكاتٍ وأَحاديثُ صاخِبَةٌ. فَقَدْ عَثَرَ الفَأْرُ الماكِرُ في الصَّباحِ عَلى صُنْدوقٍ فارِغٍ مِنَ الوَرَقِ المُقَوّى، وراحَتِ الفِئْرانُ الأَرْبَعَةُ تُفَكِّرُ كَيْفَ تَفيدُ مِنْهُ. ورَأى الفَأْرُ الماكِرُ أَنَّهُ يَصْلُحُ تَمامًا خِزانَةً لِجَميعِ الأَشْياءِ، لِأَنَّهُ كانَ ضَخْمًا يَتَّسِعُ لِكَمِّيّاتٍ كَبيرَةٍ مِنَ البَقايا والنُّفاياتِ. (فَلَيْسَ هُناكَ أَحَبُّ إِلى الفِئْرانِ مِنَ البَقايا والنُّفاياتِ!) وأَرادَ الفَأْرُ الشّاطِرُ أَنْ يَجْعَلَهُ خَيْمَةً، بَيْنَما وَدَّ الفَأْرُ السّاهِرُ لَوْ نامَ بِداخِلِهِ.

وسَأَلوا الفَأْرَ الماهِرَ، لِأَنَّهُ كانَ أَمْهَرَهُمْ وكانوا دائِمًا يَسْتَمِعونَ إِلى آرائِهِ. «ما رَأْيُكَ أَيُّها الفَأْرُ الماهِرُ؟» ولَكِنَّهُ تَثاءَبَ وأَغْمَضَ عَيْنَيْهِ، ورَفَضَ أَنْ يَقولَ كَلِمَةً واحِدَةً



قالَ الفَأْرُ السّاهِرُ وهُوَ يَرْتَدي مِعْطَفَهُ: «سَأَخْرُجُ لَعَلّي أَجِدُ شَيْئًا. هَلْ سَيَأْتي مَعي أَحَدٌ؟»

تَناوَلَ الفَأْرُ الشّاطِرُ والفَأْرُ الماكِرُ مِعْطَفَيْهِما ونَظَرا إِلى الفَأْرِ الماهِرِ أَمَلًا في أَنْ يَخْرُجَ مَعَهُمْ.

فَقالَ لَهُمْ وهُوَ يَفْتَحُ عَيْنَيْهِ ويَتَثاءَبُ ثانِيَةً: «أَعْتَقِدُ أَنّي سَآتي مَعَكُمْ.» وكانَ عَلَيْهِمْ عِنْدَئِذٍ أَنْ يَنْتَظِروا حَتّى يَجِدَ حِذاءَهُ. فَلَمْ تَكُنِ السّاعَةُ قَدْ تَجاوَزَتِ السّادِسَةَ صَباحًا، وكانَ الطَّقْسُ بارِدًا جِدًّا.

وراحَتِ الفِئْرانُ الأَرْبَعَةُ تَجُرُّ أَقْدامَها عَبْرَ المَمَرّاتِ الَّتي تُؤَدّي إِلى الخارِجِ حَيْثُ العالَمُ الرَّحيبُ. وعَلى الرَّغْمِ مِنْ أَنَّ أَحَدًا مِنْها لَمْ يَسْبِقْ لَهُ أَنِ ابْتَعَدَ كَثيرًا عَنْ أَشْجارِ التّوتِ دارَتِهِ، إِلّا أَنَّها كانَتْ تَظُنُّها العالَمَ الرَّحيبَ! وبَلَغَتِ الفِئْرانُ مَدْخَلَ الجُحْرِ. فَأَخْرَجَتْ أُنوفَها الصَّغيرَةَ، وأَخَذَتْ تَتَنَسَّمُ الهَواءَ، وتَنْظُرُ حَوْلَها بِعُيونِها البَرّاقَةِ المُسْتَديرَةِ الَّتي تُشْبِهُ عُيونَ البومِ. إِنَّ هٰذِهِ الفِئْرانَ بِفِرائِها النّاعِمَةِ اللَّطيفَةِ، وطولِها الَّذي لا يَتَجاوَزُ الخَمْسَةَ عَشَرَ سَنْتيمِتْرًا، تَتَّصِفُ بِالحِرْصِ والحَذَرِ الشَّديدَيْنِ، فَالجَميعُ يَوَدُّ اقْتِناصَها، لِذٰلِكَ لا تَشْعُرُ بِالأَمانِ. ولِهٰذا السَّبَبِ تَخْرُجُ عادَةً لَيْلًا، لِأَنَّهُ أَكْثَرُ أَمانًا لَها، ولِأَنَّها تُفَضِّلُ ضَوْءَ القَمَرِ الهادِئَ اللَّطيفَ عَلى نورِ الشَّمْسِ الباهِرِ المُزْعِجِ.

إِنَّ نورَ الشَّمْسِ في الشِّتاءِ أَقَلُّ سُطوعًا بِالطَّبْعِ، لِذا تَخْرُجُ في النَّهارِ أَحْيانًا. لَقَدْ خَرَجَتِ الآنَ مِنَ الجُحْرِ واحِدًا وَراءَ واحِدٍ وبِبُطْءٍ، وظَلَّتْ تَتَطَلَّعُ حَوْلَها وتَتَنَسَّمُ الهَواءَ بِحَذَرٍ. وكانَ الفَأْرُ السّاهِرُ أَكْثَرَها جُرْأَةً، فَانْطَلَقَ فَجْأَةً يَجْري وَسْطَ الحَشائِشِ حَيْثُ وَقَعَ بَصَرُهُ عَلى شَيْءٍ يَلْمَعُ

فَجأةً أمسَكَ الفأرُ الشّاطِرُ بِثِيابِ أصْدِقائِهِ الفِئْرانِ وهَمَسَ قائِلًا. «إنّي أسْمَعُ شَيْئًا.» أصْغَى الجَميعُ وقَدْ مَدّوا أعْناقَهُمْ في الهَواءِ لِيَسْمَعوا جَيِّدًا.

وقالَ الفأرُ السّاهِرُ: «لَعَلَّهُ واحِدٌ من الأرانِبِ المُتَطَفِّلَةِ. إنَّهُمْ دائِمًا يَتَدَخَّلونَ في شُؤونِ غَيْرِهِمْ.»

وقالَ الفأرُ الشّاطِرُ: «كَلّا، كَلّا!». وأشارَ بِعَصَبِيَّةٍ وقالَ «إنَّ الصَّوْتَ يَنْبَعِثُ مِنْ ذٰلِكَ الشَّيْءِ الَّذي هُناكَ.» وأنْصَتَ الجَميعُ بِاهْتِمامٍ إلى ذٰلِكَ الشَّيْءِ اللّامِعِ الَّذي عَثَرَ عَلَيْهِ الفأرُ السّاهِرُ لَقَدْ تأكَّدوا الآنَ تَمامًا أنَّ صَوْتًا يَنْبَعِثُ مِنْهُ «تِكْ تِكْ تِكْ تِكْ» وأفْزَعَتْهُمُ التَّكْتَكَةُ قَليلًا ولٰكِنْ، لِأنَّ هٰذا الشَّيْءَ اللّامِعَ لَمْ يَتَحَرَّكْ ولَمْ يَقُلْ لَهُمْ شَيْئًا، فإنَّهُمْ تَغَلَّبوا بِالتَّدْريجِ عَلى خَوْفِهِمْ، واقْتَرَبوا مِنْهُ لِيَتَمَكَّنوا مِنْ مُشاهَدَتِهِ بِوُضوحٍ. تَقَدَّمَ الفأرُ السّاهِرُ الشُّجاعُ ونَفَضَ الغُبارَ عَنْ سَطْحِهِ بِكُمِّ مِعْطَفِهِ. أمّا الآخَرونَ فَشَهَقوا في رُعْبٍ، ولٰكِنْ شَيْئًا لَمْ يَحْدُثْ.

وصاحَ الفأرُ السّاهِرُ بِانْفِعالٍ واضِحٍ. «أُنْظُروا... أُنْظُروا...» كانَ سَطْحُ هٰذا الشَّيْءِ ضَخْمًا لامِعًا، وكانَ هُناكَ ذِراعٌ سَوْداءُ صَغيرَةٌ تَدورُ أثْناءَ انْبِعاثِ صَوْتِ التَّكْتَكَةِ.



وَقَفَتِ الفِئْرانُ الأَرْبَعَةُ حَوْلَ هٰذا الشَّيْءِ العَجيبِ ، وراحَتْ تُثَرْثِرُ وتَتَساءَلُ في دَهْشَةٍ : «ما هٰذا الشَّيْءُ؟ أَهوَ خَطِرٌ؟ مِنْ أَيْنَ جاءَ؟ هَلْ يُمْكِنُ أَنْ نُحَرِّكَهُ؟» ثُمَّ تَقَدَّمَتِ الفِئْرانُ الأَرْبَعَةُ ورَفَعَتْهُ بِحِرْصٍ ، ثُمَّ جَرَّتْهُ إلى الجُحْرِ. وأَخَذَتْ تَدْفَعُهُ وتَسْحَبُهُ في المَمَرّاتِ حَتَّى بَلَغَتْ غُرْفَةَ المَعيشَةِ.



واسْتَيْقَظَتِ العَمَّةُ طُمْبا على صُراخِ الفِئْرانِ وصِياحِها ، وجاءَتْ مُسْرِعَةً ونَظّارَتُها تَتَأَرْجَحُ على أَنْفِها ، وقالَتْ وهِيَ تُزيحُ عَنْ وَجْهِها الغُبارَ المُتَطايِرَ : «لِماذا كُلُّ هٰذِهِ الضَّجَّةِ؟»

أَظْهَرَتِ الفِئْرانُ لَها الشَّيْءَ اللاّمِعَ ، ولٰكِنَّ العَمَّةَ صاحَتْ تُحَذِّرُ مِنَ الصَّوْتِ المُنْبَعِثِ مِنْهُ ، وقَفَزَتْ فَوْقَ المِنْضَدَةِ وقَدْ وَضَعَتْ مِئْزَرَها على رَأْسِها ، ورَفَضَتْ أَنْ تَتْرُكَ المِنْضَدَةَ حَتَّى يُؤْخَذَ هٰذا الشَّيْءُ اللاّمِعُ بَعيدًا. وحاوَلَتِ الفِئْرانُ الأَرْبَعَةُ تَهْدِئَتَها ، ولٰكِنَّها لَمْ تَنْجَحْ. وظَلَّتِ العَمَّةُ طُمْبا في مَكانِها.



وقالَ الفَأْرُ السّاهِرُ: «أَقْتَرِحُ أَنْ نَبْحَثَ عَنِ العَمِّ فَهْمان - وسَوْفَ يُخْبِرُنا ما هُوَ هٰذا الشَّيْءُ.»

وانْصَرَفَ السّاهِرُ والماكِرُ والشّاطِرُ لِلْبَحْثِ عَنِ العَمِّ فَهْمان ، وبَقِيَ الفَأْرُ الماهِرُ مَعَ العَمَّةِ طُمْبا لِيَحْميَها.

مَضَتْ دَقائِقُ قَليلَةٌ ، عادَتْ بَعْدَها الفِئْرانُ الثَّلاثَةُ مُسْرِعَةً وهْيَ تَجُرُّ العَمَّ فَهْمَان مِنْ كُمِّ قَميصِهِ. وكانَ يُزَمْجِرُ في غَضَبٍ ، لِأَنَّهُ في الحَقيقَةِ لَمْ يَكُنْ يُحِبُّ تِلْكَ الفِئْرانَ وما تُحْدِثُ مِنْ ضَجيجٍ. ويَبْدو أَنَّهُ نَسِيَ أَنَّهُ كانَ فيما مَضَى طِفْلًا. وصاحَ قائِلًا : «أَيُّها الأَشْقِياء ، كُفُّوا عَنْ جَرْيِي...»

قالَتِ الفِئْرانُ الأَرْبَعَةُ وهْيَ تُشيرُ إلى الشَّيْءِ الَّذي عَلَى الأَرْضِ : «أُنْظُرْ... أُنْظُرْ...»

وسارَ العَمُّ فَهْمَان بِنَوْعٍ مِنَ التَّهَوُّرِ نَحْوَ هٰذا الشَّيْءِ ، دونَ أَدْنى خَوْفٍ ، وأَخَذَ يُهَمْهِمُ : «همممم... همممم.» وحَكَّ ذَقْنَهُ ، وقالَ وهْوَ مُسْتَغْرِقٌ في التَّفْكيرِ : «تَمامًا كَما ظَنَنْتُ... تَمامًا كَما ظَنَنْتُ...»

ثُمَّ قالَ : «اِنْتَظِروا هُنا دَقيقَةً.» وخَرَجَ مِنَ الغُرْفَةِ بِبُطْءٍ. وعادَ بَعْدَ قَليلٍ ومَعَهُ صورَةٌ نُزِعَتْ مِنْ مَجَلَّةٍ.

وسَأَلَ : «تُرَى ما الَّذي تَفْعَلُهُ العَمَّةُ طُمْبا فَوْقَ المِنْضَدَةِ؟»

أَجابَهُ الفَأْرُ السَّاهِرُ قائِلًا : «تَقول إِنَّ عَلَيْنا أَنْ نَتَخَلَّصَ مِنْ هٰذا الشَّيْءِ ، فَهيَ خائِفَةٌ مِنْهُ.»

فَصاحَ العَمُّ فَهْمَان : «لا تَكوني حَمْقاء! اِنْزِلي حالًا ، أَيَّتُها العَمَّةُ طُمْبا. إِنَّني أَعْلَمُ تَمامًا ما هُوَ هٰذا الشَّيْءُ ، وهوَ نافِعٌ جِدًّا أَيْضًا.» فَقَفَزَتِ العَمَّةُ طُمْبا مِنْ فَوْقِ المِنْضَدَةِ ووَقَفَتْ خَلْفَ الآخَرينَ وهْيَ تَشْعُرُ بِشَيْءٍ مِنَ الخَجَلِ. وبَسَطَ العَمُّ فَهْمَان الصّورَةَ فَوْقَ سَطْحِ المِنْضَدَةِ ، وكانَتْ صُورَةً لِشَيْءٍ لامِعٍ يُشْبِهُ تَمامًا الشَّيْءَ الَّذي عَثَروا عَلَيْهِ!

قالَ : «أُنْظُروا! إِنَّها ساعَةٌ... ساعَةٌ مِثْلُ هٰذِهِ!»

سَأَلَهُ الجَميعُ : «ولٰكِنْ ما هِيَ فائِدَتُها؟»

فَصاحَ العَمُّ فَهْمان : «فائِدَتُها...؟ فائِدَتُها...؟ إِنَّنا نَعْرِفُ الوَقْتَ بِها ، هٰذِهِ هِيَ فائِدَتُها. مِنَ الآنَ فَصاعِدًا سَوْفَ نَعْرِفُ مَوْعِدَ الغَداءِ ، أَوْ مَوْعِدَ النَّوْمِ ، أَوْ مَوْعِدَ الإِفْطارِ ، دونَ أَنْ نَنْظُرَ في الخارِجِ أَوَّلًا مِنْ خِلالِ النَّافِذَةِ. مِنَ الآنَ فَصاعِدًا عَلَيْنا أَنْ نَنْظُرَ فَقَطْ إِلى ساعَتِنا.»

وقالَ الفَأْرُ الماكِرُ وهْوَ يَتَسَلَّلُ نَحْوَ الفِراشِ وقَدْ غَلَبَهُ النُّعاسُ : «إِنَّني أَعْرِفُ شَيْئًا واحِدًا وهوَ أَنَّني لَسْتُ بِحاجَةٍ أَنْ أَنْظُرَ إِلى السَّاعَةِ لِتُعَرِّفَني أَنَّني نَعْسانُ!»

وتَبِعَتْهُ بَقِيَّةُ الفِئْرانِ. فَبَعْدَ مِثْلِ هٰذا اليَوْمِ الحافِلِ أَصْبَحَ كُلُّ واحِدٍ مُسْتَعِدًّا لِلنَّوْمِ!



سِلْسِلَة «حِكايات المَساء»

١ - إياد والتّنين
٢ - مَلِكُ الفَراش

Series 413 Arabic